نجمع المطوعة ورماة الاهداف واهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزب البلالية والسعدية ومن غير هذه الاصناف من
الهاشميين والقرشيين ومن يحب النظر ومشاهدة الحرب من ساير اصناف الناس فشحن ثلاث مراكب من الشذا بالرماة
وجعل الناس يزدحمون فى الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم من
لا سلاح معه بل نظارة ودخلت السفن اليهم النهر المعروف بام حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم فى المد ومرت الرجالة و
النظارة على شاطى النهر قد سدوا ما ينفذ فيه البصر كثرة وتكاثفا فوجه صاحب الزنج صاحبيه زريقا وابا الليث الاصفهانى
فجعلهما كمينا فى الجانب الشرقى من نهر سلطان وكان مقيما بموضعه منه ووجه صاحبيه شبلا وحسينا الحمامى فجعلهما كمينا
فى غربيه ومع كل من الكمينين جماعة وامر على بن ابان المهلبى يتلقى القوم فيمن بقى معه من جمعه وامره ان يستتر هو
واصحابه بتراسهم ولا يثوروا اليهم منه ثاير حتى يوافيهم القوم ويخالطوهم باسيافهم فاذا فعلوا ذلك ثاروا اليهم وتقدم الى
الكمينين اذا جاوزوهما الجمع واحسا بثورة اصحابهم اليهم ان يخرجا من حبتى النهر ويصيحا بالناس وكان يقول لاصحابه بعد
ذلك لما اقبل الى جمع البصرة وعاينته رايت امرا هايلا راعنى وملا صدرى رهبة وجزعا ففزعت الى الدعاء وليس معى من اصحابى
الا نفر يسير منهم مصلح وليس منا احد الا وقد خيل اليه مصرعه فجعل مصلح يعجبنى من كثرة ذلك الجمع وجعلت اومى اليه اى امسكت
فلما قرب القوم منى قلت اللهم ان هذه ساعة العسرة فاعنى فرايت طيورا بيضا اقبلت فتلقت ذلك الجمع فلم استتم دعائى
حتى بصرت بسميرية من سفنهم قد انقلبت بمن فيها فغرقوا ثم تلتها الشذا فغرقت واحدة بعد واحدة وثار اصحابى الى القوم
وخرج الكمينان من حبتى النهر وصاحوا وخبطوا الناس فغرقت طايفة وقتلت طايفة وهربت طايفة نحو الشط
طمعا فادركها السيف فمن ثبت قتل ومن رجع الى الماء غرق حتى ابيد اكثر ذلك الجمع ولم ينج منهم الا الشريد وكثر المفقودون
بالبصرة وعلا العويل من نساهم قال ابو جعفر وهذا يوم الشذا الذى ذكره الناس فى اشعارهم وعظموا ما فيه من القتل
فكان ممن قتل من بنى هاشم جماعة منهم من ولد جعفر بن سليمان وانصرف صاحب الزنج وجمع الروس وملا بها سفنا
واخرجها من النهر المعروف بام حبيب فى الجزر واطلقها فوافت البصرة فوقفت فى مشرعة تعرف بمشرعة القيار فجعل
الناس ياتون تلك الروس فياخذ راس كل رجل اولياؤه وقوى صاحب الزنج بعد هذا اليوم وسكن الرعب قلوب اهل البصرة
منه وامسكوا عن حربه وكتب الى السلطان بخبرهم فوجه جعلان التركى مددا لاهل البصرة فى جيش ذوى عدة واسلحة
قال ابو جعفر وقال اصحاب على بن محمد له انا قد قتلنا مقاتلة اهل البصرة ولم يبق فيها الا ضعفاؤهم ومن لا حراك به فاذن
لنا نقتحمها فانتهرهم وهجن آراءهم وقال بل نبعد عنها فقد رعبناهم واخفناهم ولتنجحها وقت آخر وانصرف باصحابه
الى سبخة فى آخر انهار البصرة تعرف بسبخة ابى قرة قريبة من النهر المعروف بالحاجز فاقام هناك وامر اصحابه باتخاذ
الاكواخ وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات وبث اصحابه يمينا وشمالا يعيثون ويغيرون على القرى
ويقتلون الاكرة وينهبون اموالهم ويسوقون مواشيهم وجاءه شخص من اهل الكتاب من اليهود يعرف بماندويه
فقبل يديه وسجد له وساله عن مسايل كثيرة فاجابه عنها فزعم اليهودى انه يجد صفته فى التورية وانه يرى القتال معه
وساله عن علامات فى يديه وجسده ذكر انها مذكورة فى الكتب فاقام معه قال ابو جعفر ولما صار جعلان التركى الى
البصرة بعسكره اقام ستة اشهر يحارب صاحب الزنج فاذا التقوا لم يكن بينهم الا الرمى بالحجارة والنشاب ولم يجد جعلان
الى لقائه سبيلا لضيق الموضع لما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل ولان صاحب الزنج قد كان خندق على نفسه
واصحابه ثم ان صاحب الزنج بيت جعلان فقتل جماعة من اصحابه وريع الباقون روعا شديدا فانصرف جعلان
الى البصرة ووجه اليه مقاتلة السعدية والبلالية فى جمع كثيف فواقعهم صاحب الزنج فقهرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة
وانصرفوا مفلولين ولحق جعلان باصحابه الى البصرة فاقام بها معتصما بجدرانها وظهر عجزه للسلطان فصرف عن
حرب الزنج وامر سعيد الحاجب بالشخوص الى البصرة لحربهم قال ابو جعفر واتفق لصاحب الزنج من السعادة ان اربعة
وعشرين مركبا من مراكب البحر كانت اجتمعت تريد البصرة وانتهى الى اصحابها خبر الزنج وقطعهم السبل وفيها اموال عظيمة
للتجار فاجتمعت آراؤهم على ان شدوا المراكب بعضها الى بعض حتى صارت كالجزيرة يتصل اولها باخرها ثم سارت فى دجلة

فكان

فكان صاحب الزنج يقول نهضت ليلة الى الصلاة واخذت فى الدعاء والتضرع فخوطبت بان قيل لى قد اظلك فتح عظيم فلم
البث ان طلعت المراكب فنهض اصحابى اليها فى شذاتهم فلم يلبثوا ان حووها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا
منها اموالا لا تحصى ولا يعرف قدرها فانتهبت ذلك اصحابى ثلثة ايام وامرت بما بقى منها فحيز لى قال ابو جعفر ثم دخل الزنج
الابلة فى شهر رجب من سنة ست وخمسين ومائتين وذلك ان جعلان لما تنحى الى البصرة الح صاحب الزنج بالسرايا على
اهل الابلة فجعل يحاربهم من ناحية شط عثمان بالرجالة وبما خف له من السفن من ناحية دجلة وجعلت سراياه تضرب الى
ناحية نهر معقل وذكر عن صاحب الزنج انه قال ميلت بين عبادان والابلة فملت الى التوجه الى عبادان فندبت الرجال الى ذلك
فخوطبت وقيل لى ان اقرب العدو دارا واولاه ان لا تتشاغل عنه بغيره اهل الابلة فرددت الجيش الذى كنت سيرته نحو
عبادان الى الابلة فلم يزالوا يحاربون اهلها الى ان اقتحموها واضرموها نارا وكانت مبنية بالساج بناء متكاثفا فاسرعت
فيها النار ونشات ريح عاصف فاطارت شرر ذلك الحريق الى ان اتصل الى شط عثمان وقتل بالابلة خلق كثير وحويت
الاسلاب والاموال على ان الذى احرق منها كان اكثر مما انتهب واستسلم اهل عبادان بعدها لصاحب الزنج فان قلوبهم
ضعفت وخافوه على انفسهم وحرمهم فاعطوا بايديهم وسلموا اليه بلدهم فدخلها اصحابه فاخذوا من كان فيها من العبيد
وحملوا ما كان فيها من السلاح ففرقه على اصحابه وصانعه اهلها بما كف به عنهم قال ابو جعفر ثم دخل الزنج بعد عبادان الى الاهواز
ولم يلبث لهم اهلها فاحرقوا فيها فقتلوا ونهبوا واخربوا وكان بالاهواز ابراهيم بن محمد بن المدبر الكاتب اليه خراجها وضياعها فاسروه
بعدان ضربوه ضربة على وجهه وحووا كل ما كان معه من المال والاثاث والرقيق والكراع واشتد خوف اهل البصرة واشتغل
كثير من اهلها عنها وتفرقوا فى بلاد شتى وكثرت الاراجيف من عواقبها قال ابو جعفر فلما دخلت سنة سبع وخمسين انفذ
السلطان بغراج التركى على حرب البصرة وسعيد بن صالح الحاجب للقاء صاحب الزنج وامر بغراج بامداده بالرجال فلما
صار سعيد الى نهر معقل وجد هناك جيشا لصاحب الزنج فى النهر المعروف بالمرغاب فاوقع بهم سعيد فهزمهم واستنقذ
ما فى ايديهم من النساء والنهب واصابت سعيدا فى تلك الوقعة جراحات منها جراحة فى فيه ثم بلغه ان جيشا لصاحب الزنج
فى موضع المعروف بالفرات فتوجه اليه فهزمه واستامن اليه بعض قواد صاحب الزنج حتى لقد كانت المراة من سكان ذلك الموضع
تجد الزنجى مستترا بتلك الادغال فتقبض عليه حتى تاتى به عسكر سعيد ما به عنها امتناع ثم قصد سعيد حرب صاحب الزنج فعبر
اليه الى غربى دجلة فاوقع به وقعات متوالية كلها يكون الظفر فيها لسعيد الى ان تهيا لصاحب الزنج عليه ان وجه الى يحيى
بن محمد البحرانى صاحبه وهو اذ ذاك مقيم بنهر معقل فى جيش من الزنج يامره بتوجيه الف رجل من اصحابه عليهم سليمان بن جامع وابو
الليث القايدان ويامرهما بقصد عسكر سعيد ليلا حتى توقعا به وقت طلوع الفجر من ليلة عينها لهم ففعلا ذلك ووصلا
الى عسكر سعيد فى ذلك الوقت فصادفا منه غرة وغفلة فاوقعا به وباصحابه وقت طلوع الفجر فقتل منهم مقتلة عظيمة
واصبح سعيد وقد ضعف رجاله وامره واتصل بالسلطان خبره فامره بالانصراف الى باب السلطان وتسليم الجيش الذى
معه الى منصور بن جعفر الخياط وكان اليه يومئذ حرب الاهواز فكوتب بحرب صاحب الزنج وان يصمد له فكانت بينهم وقعة
عظيمة كان الظفر فيها للزنج فقتل من اصحاب منصور خلق عظيم وحمل من روسهم خمسمائة راس الى عسكر يحيى بن محمد البحرانى
القايد فنصبت على نهر معقل قال ابو جعفر ثم كانت بين الزنج وبين اصحاب السلطان بالاهواز وقعات كثيرة تولاها على بن
ابان المهلبى فقتل شاهين بن بسطام وكان من اكابر اصحاب السلطان وهزم ابراهيم بن سيما وكان ايضا من الامراء المشهورين
واستولى الزنج على عسكره قال ابو جعفر ثم كانت الوقعة العظمى بالبصرة فى هذه السنة وذلك ان صاحب الزنج قطع الميرة عنهم
فاضر ذلك بهم والح بجيوشه وتوجيه عليهم بالحرب صباحا ومساء فلما كان فى شوال من هذه السنة ازمع على جمع اصحابه
بالهجوم الى البصرة والجد فى خرابها وذلك لعلمه بضعف اهلها وتفرقهم واضرار الحصار بهم وخراب ما حولها من القرى وكان
قد نظر فى حساب النجوم ووقف على انكساف القمر ليلة الرابعة عشر من هذا الشهر فذكر محمد بن الحسن بن سهل انه قال سمعته
يقول اجتهدت فى الدعاء على اهل البصرة وابتهلت الى الله تعالى فى تعجيل خرابها فخوطبت وقيل لى ان البصرة خبزة تاكلها من
جوانبها فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فاولت انكسار نصف الرغيف بانكساف نصف القمر المتوقع فى هذه الليالى وما اخلق

Copyright © King Saud University